عزاء الشيخ محمد يونس الجونفوري رحمة الله عليه
من الشيخ الدكتور محمد يحيىٰ بلال منيار حفظه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد: فهذه جلسة عُقدت في مدرسة مظاهر العلوم بسَهَارَنْبور[1] لذكر شيء من سيرة شيخنا الراحل العلامة المحدث الجليل الناقد المحقق الثبت المتقن محدّث العصر الشيخ محمد يونس الجَونْبوري ثم السَّهَارَنْبوري، رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً، الذي تُوفي البارحة، صباحَ يوم الثلاثاء 16 شوال 1438 الموافق 11 يوليو 2017، رحمه الله تعالى وغفر له.

وبهذه المناسبة وَجَّه تلميذه الرشيد -من خواص تلاميذه المقرّبين لديه- وهو الشيخ المحدّث المفتي شبّير أحمد بَتِيل -أستاذ الحديث الشريف بمدرسة دار العلوم، بمدينة بَرِيْ، ببريطانيا- وهو حاضر معنا الآن في هذه الجلسة، وَجَّه

(١) أصل هذه الكلمة، كانت أُلقيت ارتجاليا في جلسة التأبين التي عُقدت في اليوم الثاني من وفاة شيخنا الشيخ محمد يونس الجَوْنْبوري رحمه الله تعالى، أي مساء الأربعاء 17 شوال 1438 الموافق 12 يوليو 2017 بمدرسة "مظاهر العلوم" بسَهَارَنْبور، بالهند. ثم أُجرِيَتْ عليها تعديلات حين نشرها مكتوبة في هذه الصورة.

حفظه الله تعالى وأَمَر بتقديم الشكر الآن مباشرةً شفويًا في هذه الجلسة، لإخواننا الأفاضل في المملكة العربية السعودية ودول الخليج، الذين أُتيح لهم التعلق بالشيخ رحمه الله هناك، سواء بالتتلمذ عليه والاستفادة منه علميًا، أو بمحبته ومودّته وتقدير فضله، والقيام بزيارته وخدمته بمختلف الوجوه، وذلك حين كان يأتي رحمه الله إلى الحرمين الشريفين في كل عام، في أسفار الحج والعمرة.

ومن هؤلاء الإخوة الأفاضل من تفضَّل بتقديم العزاء في وفاة شيخنا رحمه الله،إلى فضيلة مدير هذه المدرسة وأساتذتِها ومسؤوليها المحترمين، فكان من الواجب الاعترافُ بفضلهم هذا، وتوجيهُ الشكر والثناء لهم، والدعاء لهم أن يجزيهم الله عنا وعن مسؤولي هذه المدرسة وأساتذتها وتلامذتها،وعن جميع محبِّي الشيخ،خيرَ الجزاء.

وبناءً على هذا: ينبغي البدء أولاً بذكر أصحاب الفضيلة أئمةِ ومؤذِّني المسجد النبوي الشريف بالمدينة المنورة حفظهم الله تعالى، الذين تعرّفوا على الشيخ رحمه الله هناك وعرفوا له فضله وقدرَه ومكانته العلمية الجليلة، وأحبّوه، واستجازوه حديثيا، مثل فضيلة الشيخ أحمد بن طالب حميد، وفضيلة الشيخ عبد الله البعيجان (إمامي الحرم النبوي الشريف) وفضيلة الشيخ إياد شكري مؤذن المسجد النبوي الشريف حفظهم الله تعالى جميعا.

ومن عجائب التقديرات الإلهية أنه في اليوم الذي تُوفي فيه شيخنا رحمه الله تعالى في الهند، تُوفي أيضا في نفس هذا اليوم في المدينة المنورة: الشيخ

إسماعيل بَدَاتُ الهندي ثم المدني رحمه الله تعالى[۱]، فلما صُلي على جنازة الشيخ إسماعيل بَدَاتُ في الحرم النبوي الشريف في صلاة الفجر صباح الأربعاء، كان إمامُ صلاة الفجر في ذلك اليوم: هو فضيلة الشيخ أحمد بن طالب حميد، كما أن فضيلة الشيخ عبد الله البعيجان أيضا كان موجودا -مع الشيخ أحمد بن طالب- في نفس الصلاة، فلما أخبرهما الشيخ يونس رَنْدِيرَا (المرافق الخاص لشيخنا الشيخ يونس الجَوْنْبوري[۲] بوفاة شيخنا الشيخ يونس الجَوْنْبوري

(۱) ويعتبر هو أحد رفقاء شيخنا رحمه الله تعالى من حيث الطبقة، فكلاهما (يعني الشيخ إسماعيل بدات، وشيخنا الشيخ محمد يونس) من تلامذة شيخ الحديث العلامة الجليل ذي الفنون والمواهب ريحانة الهند الشيخ محمد زكريا الكاندهلَوي ثم المهاجر المدني رحمه الله تعالى وقدَّس رُوحه وأعلى مقامه في علّيين. آمين.

وقد كان الشيخ إسماعيل بدات رحمه الله تعالى هاجر منذ ما يقارب خمسين عاما من الهند إلى المدينة المنورة، وسكن بها مع عائلته وأولاده، بنية الإقامة الدائمة بها والوفاة بها، وكان شغفُه الوحيد: تلاوةَ القرآن الكريم، وكان حافظا لكتاب الله تعالى، وكان يداوم الحضور إلى المسجد النبوي الشريف يوميا، ويأتي بمصحفه الخاص به من البيت، ثم يختم يوميا في ذلك المصحف ختمةً كاملة في الحرم الشريف نفسه. وقد حقق الله له أمنيته بوفاته ببلدة رسوله صلى الله عليه وسلم، فرحمه الله وغفر له وأسكنه الفردوس الأعلى من جنته آمين.

(۲) الأخ الكريم الشيخ يونس رَنْدِيرَا، هو مُسمّى بنفس اسم شيخنا الشيخ يونس الجَوْنْبوري، وكان هو المرافق الخاص لشيخنا رحمه الله والقائم بخدمته وجميع شؤونه في أسفاره رحمه الله إلى خارج الهند، كأسفاره إلى الحرمين الشريفين وغيرهما من البلاد، فكان يلازم الشيخَ رحمه الله في أسفاره الخارجية، منذ مغادرته الهند إلى أن يعود إليها ويعود إلى مستقرّه في هذه المدرسة "مظاهر العلوم" بسَهَارَنْبور، وذلك منذ ما يقارب سبعة عشر عاما، كلُّ ذلك كان يفعله محبةً صادقةً للشيخ رحمه الله وحسبةً خالصةً لوجه الله تعالى. ثم يعتبر هذا الأخ الكريم أيضا صهرَ الشيخ إسماعيل بَدَات رحمه الله (متزوج بابنة الشيخ بدات). وعلى هذا، فقد أُصيب الأخ الشيخ يونس رَنْدِيرَا في ذلك اليوم بوفاة عمته (والدِ زوجته) الشيخ إسماعيل بَدَاتُ في المدينة المنورة رحمه الله تعالى، وفي نفس اليوم كانت الحادثة المؤلمة المفجعة بالهند وهي وفاة شيخه الذي رافقَه هو فترةً طويلةً وأحبته بقلبه حبا صادقا، وهو شيخنا الشيخ يونس الجَوْنْبوري رحمه الله تعالى.

رحمه الله تعالى، تأسّف كل منهما على هذا الخبر المُحزن وعبرّ كلاهما عن أسفهما البالغ على هذه الحادثة المؤلمة، ومما قاله فضيلة الشيخ أحمد بن طالب حفظه الله آنذاك للأخ الشيخ يونس رَنْدِيرَا، أنه يصعب الحصول على مثل هذا الشيخ الجليل بعده! جزى الله تعالى هذين الشيخين إمامَي الحرم النبوي الشريف، عنا وعن هذه المدرسة وجميع منسوبيها وعن جميع محبِّي الشيخ وتلامذته خيرَ الجزاء، وأدام عليهما وعلى جميع أئمة الحرمين الشريفين فضلَه، وحفظ بلاد الحرمين الشريفين من كل مكروه.

ونقدم الشكر أيضا والتقدير للشيخ إياد شكري مؤذّن المسجد النبوي الشريف، الذي كانت للشيخ رحمه الله في قلبه مكانةٌ عالية ومحبةٌ ومعزّة كبيرة، كما يخبر بذلك الأخ الكريم الشيخ يونس رَنْدِيرَا (مرافق الشيخ رحمه الله).

ثم بعد ذلك يجب علينا أن نقدم جزيل الشكر وعظيم الامتنان لمعالي الشيخ الوجيه المُحسن الشيخ بكر بن لادن، أحد كبار رجال الأعمال بالمملكة العربية السعودية، والقائم بأعمال توسعة الحرمين الشريفين منذ عهد الملك فيصل رحمه الله تعالى؛ فقد صار لهذا الشيخ الوجيه تعلُّق قلبي عجيب بشيخنا الشيخ يونس رحمه الله تعالى، فأحبَّه جدا إلى درجة أنه كان يُكرم شيخَنا باستضافته في شُقّته الواسعة الفخمة المطلّة على بيت الله الحرام، والتي تقع في برج (رتاج البيت)، أحد أبراج ساعة مكة المكرمة، الكائنة بمشروع وقف الملك عبد العزيز أمام باب الملك عبد العزيز، وكان الشيخ رحمه الله يشعر بالراحة التامة في هذه الشقة، خصوصا أنه كان يتيسر للشيخ الوصول إلى

الحرم الشريف من هناك، ثم العودة إلى الشقة مرة أخرى بكل يسر وراحة، فكان هذا يعدّ غايةً في المحبة والإكرام والتقدير من طرف معالي الشيخ بكر بن لادن تجاه شيخنا رحمه الله تعالى.

ثم إن معالي الشيخ الوجيه بكر بن لادن ما كان يكتفي بمجرد هذه الاستضافة لشيخنا في شقته المذكورة، بل بلغ من منزلة شيخنا ومحبته لديه، أنه كان يزور الشيخ رحمه الله بنفسه مع كثرة أعبائه ومسؤولياته، وكان أيضا يُكرم شيخَنا في كل سفر من أسفاره إلى الحرمين الشريفين بإهداء مبلغ مالي له، ومقداره (100,000 ريال) مائة ألف ريال، وكان شيخنا رحمه الله يقبل هذه الهدية منه، إلا أنه لا يُبقي منها شيئا لنفسه أبدًا، بل كان يأمر الأخ الشيخ يونس رَنْدِيرَا بأن يتصدّق بهذا المبلغ كاملا.

فنسأل الله أن يجزي عنا جميعًا معالي الشيخ بكر بن لادن على ذلك كله خيرَ الجزاء، وأن يوفقه للمزيد من مثل هذه الأعمال الصالحة.

وبهذه المناسبة لا يفوتنا تقديم شكر خاص للأخ الكريم أكبر، المسؤول عن شقة معالي الشيخ بكر بن لادن المذكورة، فكان هذا الأخ الكريم يحب الشيخ جدا حُبا مخلصا ويجلّه جدا، وكان -مع كِبَرِ سِنّه- يحرص على راحة الشيخ ويقوم بخدمته في هذه الشقة وتجهيز الطعام المناسب له رحمه الله، وكان شيخنا رحمه الله يبادله أيضا نفس الحبّ والتقدير القلبي، بل كان الشيخ يدعو له دائما باسمه الكريم، جزاه الله خيرا.

ثم لا ننسى أبدًا في هذه الجلسة تقديمَ عظيم الفضل والشكر والامتنان

لفضيلة الشيخ السخيّ المحسِن الكريم الشيخ إسماعيل السرّتي أحدَ كبار تجار أهل مكة المكرمة، نقدّم شكرا جزيلا له ولأولاده الكرام ولعائلته المحترمة كلها، فقد أحبّ هو وجميعُ أهل بيته الشيخَ رحمه الله كبارًا وصغارًا، وكانوا جميعُهم -مع كونهم من أثرياء أهل مكّة المكرمة- على خصال عالية من الأخلاق الرفيعة والأدب الجمّ والتواضع والإجلال والاحترام الكبير لشيخنا رحمه الله تعالى.

ثم إن الشيخ السرّتي كان أيضا صاحبَ كرم واستضافة لشيخنا في بعض الفترات في بيته الفخم بمكة المكرمة، ثم في شقته الكريمة المطلة على الحرم الشريف[1]، وكان أولاده الكرام وجميعُ أهل بيته يقومون على راحة الشيخ ويخدمونه بقلوب مليئة بالصدق والنقاء والتواضع، حتى إنه ليَشهَد من رأى الشيخَ بينهم أنه أحدُ أفراد بيتهم، فجزاهم الله تعالى جميعا خير الجزاء وزادهم من فضله.

ومن أصحاب الفضل والمكانة العالية الذين وَجَّه المفتي شبير بَتِيل بتقديم الشكر والامتنان اللائق بمقامهم: صاحب السمو الشيخ خالد آل ثاني، أحد أفراد العائلة الحاكمة في قطر، فقد تفضل حفظه الله تعالى بتقديم العزاء في وفاة شيخنا رحمه الله تعالى.

كما وَجَّه المفتي شبير بَتِيل بتقديم الشكر لفضيلة الشيخ عادل من أهالي

(١) وهي تقع في برج (المروة ريحان) أحد أبراج ساعة مكة المكرمة، التي سبق ذكرها عند ذكر شقة معالي الشيخ بكر بن لادن

قطر، وقد تفضل أيضا بتقديم العزاء شخصيا في وفاة الشيخ رحمه الله إلى المسؤولين في هذه المدرسة.

كما لا ننسى الشيخ يونس الدّهلوي، أحد التجّار بمكة المكرمة، فقد كان على صلة بالشيخ رحمه الله، وكان يحبّ الشيخَ رحمه الله ويُكرمه ويستضيفه في بيته على الطعام، وقد تفضل أيضا بتقديم العزاء، فجزاه الله خيرا.

ثم نأتي إلى ذكر بعض الشخصيات الكريمة من أهل العلم والفضل الذين تعرّفوا على الشيخ -بواسطة وعناية الأخ الكريم الشيخ يونس رَنْدِيْرا، مرافق الشيخ- في الحرمين الشريفين ودول الخليج، واستفادوا منه هناك علميّا أو تتلمذوا على يديه بقراءة الصحيحين وغيرهما من كتب الحديث الشريف.

فمن هؤلاء: فضيلة الشيخ السخيّ الكريم نِظام يعقوبي، أحد الفضلاء المشاهير بمملكة البحرين، ويُغبَط حفظه الله تعالى على أن الله رزقه إلى جانب العلم، ثراءً ماليًا، ثم وفّقه لبذل ذلك المال في نشر نوادر ونفائس كتب العلم، والسعي لجلب مخطوطاتها من المكتبات المختلفة في العالم، ثم قراءتِها مع مجموعة من أهل العلم، في شهر رمضان، داخلَ الحرم المكي الشريف، أمام بيت الله الحرام، ثم طباعتها ونشرها محقّقة ومطبوعةً طباعةً فاخرةً تحت عنوان "لقاء العشر الأواخر بالمسجد الحرام"، وكلّ ذلك على نفقاته الخاصة، جزاه الله خيرا.

فكان هذا الشيخ الكريم الفاضل يحب الشيخَ رحمه الله جدا، وكان

الشيخ أيضا يُصرِّح له بأنه يُحبّه ويُقدّره. وكان الشيخ نظام يُهدِي للشيخ كُتبًا متنوعة، خصوصا الكتب التي سبق ذكرها والتي كان يقوم هو بتحقيقها ونشرها وطباعتها، فكان يُقدّمها هديةً كريمة لشيخنا رحمه الله تعالى.

بل إنه أَهدَى للشيخ رحمه الله مرةً قبل وفاته بسَنَةٍ، كتابَ "رياضة المتعلمين" لأبي نُعيم الأصبهاني، والذي كان هو نفسه قام بتحقيقه والتعليق عليه وطباعته طباعةً جميلةً.

وقد أُعجب الشيخ رحمه الله بهذا الكتاب جدا، حتى إن الشيخ المفتي شبير بَتِيْل يقول: إن الشيخ رحمه الله لما وصل إلى المدرسة هنا في سهارَنْبور بعد عودته من ذلك السفر، طالع هذا الكتابَ بكامله، واقتبس منه ما أعجبه من الفوائد العلمية وكَتَبها وعلّقها على حواشي كُتبه في المواضع اللائقة بها، بل يقول المفتي شبّير حفظه الله: إن الشيخ رحمه الله صرّح له أنه عَزَا ونَسَب تلك الفوائد إلى الشيخ نظام يعقوبي نفسِه، لأنه كان هو صاحبَ الفضل في تحقيق هذا الكتاب والتعليق عليه وطباعته ونشرِه، فكان من تقدير الشيخ رحمه الله لما قام به الشيخ نظام يعقوبي من خدمة علمية جيدة لهذا الكتاب، أن عَزَا ما اقتبَسَه من الفوائد من هذا الكتاب، إلى المحقِّق نفسِه، من باب عز و الفضل لأهله.

ومن المشهورين من أصحاب العلم والفضل الكِرام الذين تعرّفوا على الشيخ رحمه الله واستجازوا منه حديثيا: فضيلة الشيخ البحّاثة المحقق محمد بن ناصر العجُمي، من أهالي دولة الكويت، وهو عَلَمٌ مشهورٌ في عالم التأليف

والتحقيق، حيث صدرت له كُتبٌ كثيرة تأليفًا وتحقيقًا، وكلُّها ذات خدمة علمية جيدة مع طباعة جميلة فاخرة.

ومن الفضلاء الكرام من أهل العلم، ثلاثةٌ من المشايخ المحدّثين المُسنِدين الأفاضل الذين صارت لهم صلةٌ وثيقةٌ جدا بالشيخ رحمه الله في الحرمين الشريفين، وهم:

الشيخ الفاضل أحمد عاشور من أهالي المدينة المنورة

والشيخ الفاضل الدكتور عبد الله التّوم، من أهالي السودان والمقيم حاليا بمكة المكرمة، والأستاذ بجامعة أم القرى بمكة المكرمة

والشيخ الفاضل محمد الحريري، من أهالي جُدّة والأستاذ بجامعة الملك عبد العزيز بجدّة.

هؤلاء الثلاثة الأفاضل لهم نشاط وحرص عجيب على العلم والتعلُّم والسعي للقاء المشايخ والعلماء، ولقاء المُسنِدين والكبار الأجلّة من مشايخ الحديث الشريف وقراءةِ كُتُب الحديث عليهم والاستجازةِ والاستفادةِ منهم، سواء أكان أولئك المشايخ والعلماء من أهالي الحرمين الشريفين، أو كانوا ممن يأتون إلى الحرمين الشريفين في رحلات الحج والعمرة.

وقد ساقهم هذا الشغف العلمي إلى التعرّف على الشيخ رحمه الله منذ زمن بعيد، فأحبّوه حبا بالغًا عجيبا، لأنهم رأوا في الشيخ رحمه الله من الرسوخ العلمي وسَعَة الاطلاع ودقّة النظر والتنبيهات والفوائد النادرة عنده رحمه

الله، ما لم يَرَوا في كثير من المشايخ والعلماء الذين كانوا التَقَوْا بهم في الحرمين الشريفين.

وقد لازم هؤلاء المشايخُ الثلاثة: لازموا الشيخ رحمه الله ملازمةً طويلةً، وأكبُّوا عليه لقراءة الصحيحين وسنن أبي داود وغيرها من كتب الحديث الشريف.

وكانوا زادهم الله علماً وفضلاً ونَفَع بهم، يتركون أهاليهم وبيوتَهم أياما عديدة، ويأتون ليمكثوا مع الشيخ في مكة المكرمة أو في المدينة المنورة، كلُّ ذلك لمجرد الاستفادة من الشيخ ومجالستِه وصُحبتِه وقراءةِ كتب الحديث عليه.

بل كانوا يصطحبون الشيخَ رحمه الله في أثناء سفره من مكة المكرمة إلى المدينة المنوّرة، ثم في العودة من المدينة إلى مكة، بل حتى يلازمونه في أثناء الحج في أيام التشريق بـمِنى، كلُّ ذلك ليغتنموا فرصةَ وجود الشيخ رحمه الله هناك، ويختموا عليه الصحيحين وغيرهما من كتب الحديث، وكأن لسانَ حالهم هو مصداقُ قوله صلى الله عليه وسلم: "منهُومان لا يشبعان"، أحدُهما: "طالبُ علم"، الحديث.

وقد أحبّهم الشيخ رحمه الله أيضا حُبًّا قلبيا جمًا، وكان يمدحهم ويُثني عليهم بما رزقهم الله من المواهب المختلفة من العلم والفهم، ومَلَكة الحفظ والاستحضارِ لنصوص الأحاديث، والذكاء والفطنة، والشغف الحديثي

لديهم -الذي كان الشيخ رحمه الله يُعجَب به- في سعةِ اطلاعهم على نصوص الأحاديث ومتونِها في كتب الحديث الشريف.

ونختم هذا الشكر والتقدير في هذه الجلسة بذكر فضيلة الشيخ المقرئ المحدّث الفاضل الشيخ حامد أكرم البخاري، من مشاهير أهل العلم بالمدينة المنورة، صاحبُ إجازات عالية في القرآن الكريم والقراءات، وكذا صاحبُ إجازات عالية في الحديث الشريف، وصاحبُ دروسٍ علمية نافعة في مسجد الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وكذا في مساجد أخرى من مساجد المدينة المنورة. وقد التقى هذا الشيخ الفاضل بشيخنا رحمه الله واستجاز منه حديثيا.

كما نشكر فضيلة الشيخ المتفنن في تدريس الفقه الدكتور عامر بهجت، مقيم بالمدينة المنورة، والأستاذ حاليا بجامعة طيبة بالمدينة المنورة، والأستاذ سابقا بمعهد المسجد النبوي الشريف. فقد التقى أيضا بالشيخ رحمه الله واستجاز منه.

ونشكر أيضا فضيلة الشيخ بدر، إمام مسجد سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله بمكة المكرمة، والأستاذ بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، وهو أحد أهل العلم والفضل الذين تعرَّفوا على الشيخ في السنوات الأخيرة من حياته رحمه الله، وصارت له صلةُ محبة بالشيخ رحمه الله، وكان يُكرم الشيخَ رحمه الله بإهدائه كُتُب الحديث الشريف وعلومِه. وكان الشيخ أيضا يحبه ويُداعبُه بتسميته "بدر النهار".

هذا ما تيسر الآن في هذه الجلسة ذكرُه من الشكر والتقدير لعدد من أصحاب الفضل الذين كانت لهم بالشيخ رحمه الله صلةٌ علميةٌ أو قلبيةٌ في الحرمين الشريفين ودول الخليج.

ونعتذر عمن لم نتذكّر أسماءهم الآن، مع الاعتراف لهم أيضا بالفضل والمحبة والتقدير.

جزى اللهُ الجميعَ خير الجزاء ونَفعَ الأمةَ الإسلاميةَ بعلوم الشيخ المحدّث النادر النظير في عصره العلامة محمد يونس الـجَوْنْـبُوري رحمه الله تعالى وأعلى مقامَه في علّيين.